10me Année No. 488 — Lundi - 9 - 11 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة العاشرة — « القاهرة فى يوم الإثنين ٣٠ شوال سنة ١٣٦١ — الموافق ٩ نوفبر سنة ١٩٤٢ » — العـــدد ٤٨٨

الفهرس

دفاع عن البـــــلاغة

أسباب التنكر للبلاغة ، البلاغة ، الذوق ، الأسلوب

السرعة ، والصحافة ، والتطفل ، هى البلايا الثلاث التى تكابدها البلاغة فى هذا العصر

فالسرعة — وهى جناية اختراع الآلة على الناس — كانت جريرتها على الفكر بوجه أعم ، أن استحال تقدير القِيَم التى يحتاج وزنها إلى الروية والتأمل ، أو إلى الأناة والصبر ، فظهر الخبيث فى صورة الطيب ، ودخل الردئ فى حكم الجيد ، وقيس كل عمل بمقياس السرعة لا بمقياس الجودة !

وكانت جريرتها على البلاغة بوجه أخص ، أنها أصابت الأذهان فلم تملك أن تحيط بالأطراف ، ولا أن تغوص إلى الأعماق ، فجاء أكثر ما تنتج من الزَّبد الذى لا رجْع منه ولا بقاء له .

وأصابت الأفهام فلم تصبر على معاناة الجد من بليغ الكلام ، فكان أغلب ما تقرأ من الأدب الخفيف الذى لا غَناء فيه ولا وزن له

وأصابت الأذواق فلم تستطع أن تميز الفروق الدقيقة بين الطعوم المختلفة ، فاختلط الحلو ، بالمر ، والتبس الفج بالناضج .

فالكاتب البليغ قد يعجله الحافز الملحُّ عن تعهد كلامه فيأتى بالركيك التافه . والكلام البليغ قد يسرع فيه النظر

فلا يفطن الذهن إلى عبقريات الفن فى تصوره وتصويره فيذهب فى ذمة الغث . وقد تقع السرعة خطأ فى موازين بعض النقاد فيحسبونها شرطاً فى حسن الإنتاج . وربما عابوا الكاتب المروِّى بالإبطاء وغمزوه بالتجويد وسفهوا قول الحكيم القائل : « لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده ، فإن الناس لا يسألون فى كم فرغ ، وإنما يسألون عن جودته وإتقانه » .

***

والصحافة — وهى من فنون الأدب المستحدثة — كانت جريرتها على البلاغة أنها أوشكت أن تستبد بالمجال الحيوى للكتابة . وليس فى هذا الأمر على ظاهره نكير ولا مؤاخذة ، ولكن عمل الصحافة رواية الأخبار العالمية ، وتسجيل الأحداث اليومية ، ونشر الثقافة العامة ؛ وهى فى كل أولئك تخاطب الجمهور فلا مندوحة لها عن التبذل والتبسط والإسفاف والمط مراعاة للموضوعات التى تكتب فيها ، وللطبقات التى تكتب لها ، وللسرعة التى تعمل بها . ولو كان للصحافة كتابها وللتأليف كُتَّابه لما لقيت البلاغة منها أذاة ولا مضرة ؛ ولكن حالها مع الكتاب كحال السينما مع المسرح . فهى أوفر فى المال ، وأقوى فى السلطان ، وأوسع فى الانتشار ، وأشمل فى المعرفة ، وأغنى فى الوسائل ، ولذلك غلبت الكتاب على أمراء القلم ؛ فهم يعملون فيها على ما تقتضيه أحوالها من مجاراة السرعة وتوخى السهولة وإيثار العامية . وللصحافة سبعة أبواب لا يدخل بلغاء الكتاب إلا من باب واحد . أما سائر الأبواب فهى لأنماط من ذوى الثقافات المختلفة هيأتهم ملكاتهم ونزعاتهم ليكونوا جنوداً فى جيش « صاحبة الجلالة » ، فحملوا القلم لأنهم لا بد أن يكتبوا ، ثم حملهم إدمان الكتابة ومواتاة النشر على أن يعالجوا الأدب الرفيع فقعد بأكثرهم وهن السليقة وضعف الاطلاع عن مجاراة الموهوبين من أهله ؛ فسوّل لهم الغرور أن يخفضوا مستوى البلاغة ، ويبتذلوا حَرَم الفن ، ويوهموا الناس أن أدب الدهماء هو أدب المستقبل ، لأن العصر عصر السرعة ، ولأن الشأن شأن العامة ، ولأن الديمقراطية تقضى باختيار لغة الشعب وإيثار أدبه . وما داموا هم الكثرة وقراؤهم هم الكثرة ؛ فإنهم بحكم الديمقراطية يملكون وحدهم حق التشريع فى الأدب : فينهجون القواعد ، ويقررون الأساليب ، ويعينون الكتاب ويوجهون الرأى

من أجل ذلك طغت العامية ، وفشت الركاكة ، وفسد الذوق ، وأصبحت العناية بجمال الأسلوب تكلفاً فى الأداء ، والمحافظة على سر البلاغة رجعة إلى الوراء ، ولم يبق للمخلصين للغة الوحى وأدب الرسالة إلا أن يكتبوا لأنفسهم ولمن يعصمهم الله من أعقاب هذا الجيل

على أن العامية الأدبية عرض من أعراض العامية الاجتماعية . فمتى برئ المجتمع من أمراض الضعة فجنح للقوة وطمح للكمال ، ظهرت الأصالة فى فكره ، والمتانة فى خلقه ، والسلامة فى ذوقه ؛ وحينئذ يتكون الرأى الأدبى العام ، وهو وحده الذى يراقب ويحاسب ، ويؤيد ويعارض ، فلا تجوز عليه دعوى ، ولا ينفق فيه زيف ، ولا يظفر به مَئوف

***

أما التطفل فقد رأيته ظاهر الأثر على موائد الصحافة ! ولكن هناك ضرباً من التطفل المغرور يجوز أن نُفرده بالذكر : ذلك هو تطفل فئة من أرباب المناصب لا يقدح فى كفايتهم ألا يكونوا كتاباً ولا شعراء ؛ ولكنهم يأبون إلا أن يضموا المجد من جميع حواشيه فيتكلفون ما ليس فى طباعهم من صناعة البيان فيقعون فى النقص وهم يريدون الكمال !

قد ينبغ أولئك السادة فيما يُحْذَق بالتحصيل والمزاولة ، كالتعليم والتأليف والمحاماة والسياسة ؛ ولكنهم أعجز من أن يخلقوا فى رؤوسهم ملكة الفن بمجرد الإرادة أو الأمر أو الادعاء . فإصرارهم على أن يُعدوا فى كبار الكتاب على ما فيهم من تخلف الطبع وخمود القريحة وضعف الأداة ، دفعهم إلى مشايعة الجهلاء فى تنقّص البلاغة وخفض مستواها إلى الدرك الذى لا يعز مناله على القاعد . وهذه المشايعة من قوم لهم فى التوجيه الثقافى رأى مسموع وأثر ملحوظ أخطر على البلاغة من كل ما تعانيه فى هذه المحنة

لذلك كان من البر بالأدب والإخلاص للفن أن نتقدم إلى قرائنا بهذه الفصول .

« للكلام بقية »

احمد حسن الزيات

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

٣ – حديث عيسى بن هشام

للدكتور زكي مبارك

الأسلوب — الفكاهات — الرحلة الثانية — الرحلة الفكرية — أسلوب وأسلوب — كلمة ختامية

الأسلوب

أشرنا من قبل إلى أن أسلوب المويلحي يغلب عليه السجع فلنقرر أنه لا يعفي نفسه من أثقال هذه الحلية إلا حين يخوض في أحاديث يُطلب فيها الإقناع لا الإمتاع . ومعنى هذا أن مقامات الكلام ترجع في جملتها إلى مقامين : مقام تخاطَب فيه العقول ، ومقام تناجَى فيه القلوب . فالترسُّل الحرّ هو أسلوب الإقناع ، والنثر الفني هو أسلوب الإمتاع ، وبين هذين المقامين صلات دقيقة يعرفها جهابذة القلم البليغ

فهل التزمَ المويلحي هذه الخطة في جميع الأحوال ؟

الظاهر أنه لم يراعها كل المراعاة ، فقد سجع في مواطن لا يجوز فيها السجع ، وحار قلمه بين موجبات العقل ، وموحيات الذوق ، فلم يسلم في بعض الظروف من الإسفاف

نصّ شوقي على سجع المويلحي حين رثاه فقال :

رُبَّ سجعٍ كرقص الروض لمَّا يختلف لحنُهُ ولا إيقاعُهْ
أو كسجع الحمام لو فصلتْهُ وتأنتْ به ودقَّ اختراعُهْ
هو فيه بديع كل زمانٍ ما بديعُ الزمان ما أسجاعه ؟

ومن الواضح أن شوقي يرثي ، والرثاء يبيح التهويل ، ولهذا جاز أن يكون سجع المويلحي أروع من سجع بديع الزمان ، مع أن الفرق بين فن المويلحي وفن البديع ، كالفرق بين « عيسى بن هشام » الجديد ، و « عيسى بن هشام » القديم ؛ وسيظل بديع الزمان هو البديع ، لأنه المبتكر الأول لهذا الفن الجميل ، الفن الذي ينقد المجتمع عن طريق الأسمار والأحاديث ، باللمحة البارعة والأسلوب الرشيق[1]

المويلحي يتعثر في الأسجاع ، ولكنه قد يبلغ الغاية في بعض الفقرات ، كأن يقول على لسان المحامي وهو يخاطب موكلاً رجاه أن يرجئ الأجر إلى آخر الشهر :

« أتظن أن هذه الوعود ، تقوم لدينا مقام النقود ، في بلد كثُر فيه الإنفاق وزادت الضرورات ، وقلّ فيه الربح كما قلّت المروءات ، وصار الدرهم أعزّ عند الأب من بنيه ، وعند الابن من أبيه ؟ وقد تعبتُ في القضية تعبَين : باللسان وبالجنان ، ولا أستريح منهما إلا بنقد الأصفر الرنّان . فلا تجعل الخلاص من قضية بقضية ، والفكاك من بلية ببلية ، فذلك ما لا يأتيه العقلاء ، ولا يرتضيه الأمراء »[1]

وكأن يقول : إنه رأى في ساحة المحكمة : « وجوهاً مكفهرّة ، وألواناً مصفرّة ، وأنفاساً مقطوعة ، وأكفّاً مرفوعة ، وباطلاً يُذكر ، وحقّاً يُنكر ، وشاكياً يتوعد ، وجانياً يتودد ، وشاهداً يتردد ، وجنديًّا يتهدد ، وحاجباً يستبد ، ومحامياً يستعد ، وأُمًّا تنوح ، وطفلاً يصيح ، وفتاة تتلهف ، وشيخاً يتأفف »[2]

وجملة القول أن الأسجاع الجيدة عند المويلحي كثيرة ، أليس هو الذي يسجع فيقول في التبرم بالناس :

« إن سالمتَهم حاربوك ، وإن وادعتَهم ناصَبوك ، وإن صادقتَهم خانوك ، وإن واتقتَهم كادوك ، وإذا خالطتَهم لا تأمن الاعتداء ، وإذا مازجتَهم لا تعدَم الافتراء ، وإن طالبتَهم بحق ، فإنك لا تسمع الصمّ الدعاء »[3]

الفكاهات

المويلحي كثير التندر والدعابة ، وهو ألطف ما يكون حين يسوق الفكاهة بطريق النقد الملفوف . . . أراد أن يعيب عدم استقرار محكمة الاستئناف في مكان فقال وهو ذاهب إليها مع الباشا : « ولعلنا نجدها بإذن الله في مكانها ، فقد تعودت التنقل من مكان إلى مكان ، ثم اقتربنا فوجدناها »[4]

والكلمة الأخيرة من دقيق التنكيت . . . وقد عاش المويلحي إلى أن رأى محكمة الاستئناف قد استقرت في مكان !

وأراد أن يفصح عن جرأة « المحامي الشرعي » في ذلك الزمان فأدار الحديث على مثل هذه الصورة :

— علمنا أنك رجل عدلٌ عفّ ، فجئناك لقضية في وقف

(١) « عيسى بن هشام » : شخصية اخترعها الهمذاني ونقلها عنه المويلحي ، وهي شخصية خفيفة الروح هنا وهناك

(١) ص ٦٨ (٢) ص ٣٧

(٣) ص ١٦٩ (٤) ص ٦٥

— أتطلبون رَيْعه ؟ أم تريدون بيعه ؟
— سبحان الله ! وهل تباع الأوقاف ؟
— نعم ، ويباع جبل قاف !

ثم يصير السجع نفسه فكاهة فى هذا الموضع « تنحنح الشيخ وسَعَل ، وبَصَق وتَفَل ، وتسَمَّط ، ثم تمخَّط ، واقترب منا ودنا ، ثم قال لنا »(1)

وأراد أن يصور بلاء الناس بطول الإجراءات فى المحاكم فقال :

« نسأل الله أن ينقذنا مما أصابنا من حكم الدهر ، وأن يعجل بانقضاء القضية قبل انقضاء العمر »(2)

وهذه فكاهة مرة المذاق ، فلعل إجراءات المحاكم المصرية أصبحت أقصر مما كانت فى ذلك الزمان

الرحلة الثانية

وعد المويلحى فى نهاية الرحلة الأولى بأنه سيقوم برحلة ثانية ليصور المجتمع فى الأقطار الغربية ، وقد انتظر القراء هذه الرحلة عشرين سنة ، انتظروها من سنة ١٩٠٧ إلى سنة ١٩٢٧

فتى قام المويلحى بالرحلة الثانية ؟

حدثنى الأديب إبراهيم المويلحى تليفونياً أن هذه الرحلة كانت سنة ١٨٨٩ ، فعارضته فى التاريخ ، لأن معرض باريس لسنة ١٨٨٩ هو المعرض الذى أقيم فيه بُرج إيفل أول مرة ، وفى الرحلة الثانية فقرات صريحة فى أن المعرض الذى زاره المويلحى لم يكن ذلك المعرض ، لأنه يتحدث عن « إيراد البرج فى المعرض السابق » ولأنه يتحدث عما انتهى إليه أمر « المسيو إيفل » وقد اتهم بالسرقة والاختلاس وسجن فى قضية « بناما » ولا يمكن أن يقع ذلك فى سنة ١٨٨٩

وبعد يومين تفضل الأديب إبراهيم المويلحى فأخبرنى أنه راجع ما عنده من دقائق فعرف أن الرحلة الثانية كانت فى صيف سنة ١٩٠٠ وأن أصولها أرسلت من باريس ونشرت فى « مصباح الشرق » على فترات

وإذن يكون المويلحى قبر الرحلة الثانية سبعاً وعشرين سنة ، فما سبب ذلك ؟

لعل السبب يرجع إلى أن المويلحى كان يستصغر محصول الرحلة الثانية ، ولعله كان يرجو أن تتاح فرصة يزور فيها أوربا زيارة الباحث المدقق ، ليؤلف كتاباً فى قوة كتابه الأول ؛ ثم صنع الدهر ما صنع فصرفه عما يريد ، ولم يبق إلا أن يقنع بالمحصول السابق من الرحلة الثانية ، فطبعها قبل أن يموت بثلاث سنين

رحلة أمين فكرى

والمؤكد عندى أن رحلة أمين باشا فكرى كانت السبب فى تردد المويلحى ، فقد كان يحبّ أن يصل إلى دقائق تفوق ما احتوت عليه « الرحلة الفكرية » فما تلك الرحلة ؟

الجمهور يجهل أن القاهرة شهدت فى سنة ١٨٩٢ ظهور كتاب لم تعرف مثله اللغة العربية ، وهو كتاب « السفر إلى المؤتمر » فى صفحات بلغت ٨٢٣ بالقطع الكبير . وفيه وصفٌ للحيوية الصناعية فى البلاد الأوربية ، وصفٌ لم يكتب مثله كاتب فى الشرق الحديث . وقد كنت شرعت فى كتابة بحث أصور به قيمة هذا الكتاب النفيس ثم انصرفت عنه لبعض الشؤون ، ولعلى أرجع إليه بعد حين

نحن فى صحبة كاتبَيْن وصف أولهما معرض باريس سنة ١٨٨٩ ثم وصفه الثانى فى سنة ١٩٠٠ ، فما الفروق بين هذين الكاتبين ؟

لا جدال فى أن أسلوب المويلحى أروع وأرشق ، ولا جدال فى أن المويلحى مفعم برُوح الحاسة الفنية ؛ ولكن عند الباحث أمين فكرى نزعة علمية قليلة الأمثال ، فقد وصف المعرض وصفاً هو الغاية فى تعقب الأصول والفروع من حيوات العلوم والفنون

قضى الباحث أمين فكرى تسعة أيام فى زيارة المعرض ، وهو فى صحبة أبيه عبد الله باشا فكرى ، أحد أئمة الأدب فى الجيل الماضى ، ورئيس الوفد المصرى إلى مؤتمر المستشرقين الذى عُقد فى بلاد السويد والنرويج سنة ١٨٨٩

كان أمين فكرى يسجل مشاهداته فى كل يوم ، وأى مشاهدات ؟ كان يتعقب ما ترى عيناه بالبحث والفحص والتشريح ثم يسجل ما يراه بعبارات فصيحة بليغة أغناها الوضوح والتحديد عن التزويق والتنميق

إذا قال محمد المويلحى إن برج إيفل هو إرَم ذات العماد ، أخذ أمين فكرى فى سرد تاريخ البرج وتصميماته الهندسية ، وانطلق فتحدث عن طبيعة الأرض القريبة من نهر السين ، وطاف بشؤون علمية لا تخطر للمويلحى فى بال

والحق أن أمين باشا فكرى آية من آيات النبوغ المصرى ، وما كان بينه وبين أبيه يشابه ما كان بين المويلحى وأبيه ، فشهرة

(1) ص ١٠٤ (2) ص ١٠٩

عبد الله فكرى طغت على منزلة أمين فكرى ، كما أن شهرة ابراهيم المويلحى طغت على منزلة محمد المويلحى

وأمين فكرى نفسه يحدثنا فى القدمة أن أباه عبد الله باشا فكرى كان ينوى كتابة هذه الرحلة ، وأنه ألمع إلى ذلك فى خطاب أرسله من لوسرن إلى الوزير على باشا مبارك ، ثم دهمه المرض والموت ، فكان مصير الكتاب إلى ابنه أمين .

أسلوب وأسلوب

فى « السفر إلى المؤتمر » صحائف من إنشاء عبد الله فكرى ، وهى تشهد شهادة قاطعة بأن أسلوب الأب وأسلوب الإبن يختلفان بعض الاختلاف

فتى نصل إلى مثل هذا اليقين فى التميز بين أسلوب محمد المويلحى وأسلوب أبيه إبراهيم ؟

محمد المويلحى ترك « حديث عيسى بن هشام » وابراهيم المويلحى ترك « حديث موسى بن عصام » وهو منشور بجريدة « مصباح الشرق » ، فإن سمح الوقت يوماً بالموازنة بين الحديثين فسنعرف مَدَى الفرق بين الأسلوب .

إحدى الطرائف

من طريف ما لاحظتُ أن أسلوب عبد الله فكرى تغلب عليه النزعة الأدبية ، على حين تغلب النزعة العلمية على أسلوب ابنه أمين

ولا كذلك الحال بين المويلحى وأبيه ، فالإبنُ تغلب على أسلوبه النزعة الأدبية ، أما الأب فتغلب على أسلوبه النزعة العلمية

والظاهر أن الجيل الماضى فى مصر يحتاج إلى دراسات ، فهو الذى وضع الأساس لبناء الجيل الجديد ، وكان فيما أرى على جانب من العافية ، تصوّره النكتة الآتية :

كان الوزير على باشا مبارك رجلاً من أهل الجِد الرزين ، ومع هذا استطاع عبد الله باشا فكرى أن يصف له ملاعب أوربا فى خطاب يقول فيه :

« وكم رأينا فى تلك البطاح ، من صِباح مِلاح ، كل خَوْدٌ رَدَاح ، شاكية السلاح ، من ألحاظ كالصفاح ، مراض صحاح ، وقدود كالرماح ، دامية الجراح ، فاتكة فى الأرواح ، وليس عليها لدى القانون فيما جَرحتْ جُناح ، وكل ما اجترحتْ مباح ، وهن منتشرات فى تلك الجهات كعقد خانه السمط فانتثرت دُرَرُه ، وروض ألحتْ عليه الريح فتبدّد زهَرُه ، فهن ظباء فى هذه المراتع روائع ، وأقمار من هذه المطالع طوالع ، وأنوار فى تلك المواضع سواطع ، قد رُبين فى مهاد الدلال رواضع ، وغذّيهن بلبان الَجمال لا الِجمال الرواضع ، فبرزن كالحور ، فى غلائل نُور ، أو ورد جور ، فى زجاج بلور ، تراهن بين الأشجار ، فتراهن بعض الأزهار »[1]

أيُكتَب هذا الكلام إلى وزير اسمُهُ على مُبارك لا زكى مبارك ؟

كان أسلافنا فى عافية ، وكانوا يرون التشبيب فنًّا من البيان ، ولم يكن من العيب أن يوضع مثل هذا الخطاب فى وثائق مجلس الوزراء . فعلى رجال الجيل الماضى ألف تحية وألف سلام !

كلمة ختامية

بهذا المقال الثالث نختم القول فى توجيه الطلاب إلى فهم سريرة عيسى بن هشام ، فقد أفصحنا عن أهم الدقائق من تلك السريرة ، ورفعنا عن المؤلف بعض الآصار التى أثقله بها معاصروه وأزحنا الستار عن حقائق كانت مجهولة عند الكثير من أبناء هذا الجيل

وأنا أرجو من ينظر فى كتاب « حديث عيسى بن هشام » أن يتذكر أنه كتب فى عصر كانت لأبنائه عقيدة أدبية ، فما كانوا يخطّون حرفاً إلا بميزان ، ولا كان الفتى منهم يتطاول إلى تسطير مقال إلا بعد أن يستوعب ما يصل إليه من آثار القدماء ، ولا كان يتسامى إلى الأدب إلا من زُوّد بمواهب تضمن له الخلود

وما ظنّكم بجيل كان من أبنائه محمد عبده وسعد زغلول وتوفيق البكرى وأحمد تيمور وإبراهيم المويلحى ومحمود البارودى وعبد الله فكرى وعلى يوسف وعبد العزيز جاويش ؟

لا تنسوا أن الجيل الماضى كانت له عقيدة أدبية وعقيدة قومية . لا تنسوا أنه ترك آثاراً تستحق الدرس والاقتداء . لا تنسوا أنه لا يليق أن نكون أقل منهم حرصاً على التحليق ، ونحن نملك من الوسائل ما لم يكونوا يملكون

إن « حديث عيسى بن هشام » صورة من صور القلق الاجتماعى ، وهو يشهد أن مؤلفه كان يتجه إلى خلق جيل جديد يَسلم من أوضار الجيل العتيق

(١) السفر إلى المؤتمر ص ١٠٠

عودة إلى تحفة الأستاذ على طه

أرواح وأشباح

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

(تتمة)

ألم يتضح بعدُ أن كلامَ الشاعر فى الفنان وعلاقته بالمرأة ليس جمّاع ملحمته ، على ما قد يذهب إليه وهم واهم ؟ أليس ذلك الكلام سبيلاً إلى وصف الكفاح بين الروح والجسد بذكر حقائق بشرية عامة هى المادة التى صدر عنها خيال الشاعر ؟ ألحق أن شعره تحفة من الأدب الإنسانى الصادق بعينه . ويجمل بالقارئ وهو يطالع مثل هذه التحفة ألا يميل إلى الكسل كى لا يمنعه من البحث فيها عن المميّزات التى تُدخلها فى نوعها من الأدب . فإن هو أدرك هذه المميّزات رأى أن التحفة فتحت باباً جديداً واسعاً فى الأدب العربى بالاقتباس من أنواع الأدب الأجنبى ، وعرف قدرها خصوصاً من هذا الوجه

فقد توافرت فيها مميزات النوع المعروف عند الغربيين باسم ملحمة : شعر فى الإنسانية يعبر عن وجدانيات وفكر معروفة فى المأثور من أساطيرها الشرقية والغربية ، وفى المعهود من طبعها وعاداتها وخلالها وعقائدها ، وفى علمها وأدبها . وهو شعر رفيع صادر عن إيمان من الشاعر برأيه ، ويشفّ عن إيمانه لهجتُه وبلاغته فيما قص ؛ وقد مزج الحقيقة والخيال فى قصصه ، وبث فيه الحركة والحياة بفنه ؛ وطالت قصيدته حتى بلغت أربعمائة بيت ونيفاً . فهى ملحمة ليست يونانية موقوفة على تمثيل شخصيات بعينها من جيل إغريقى معين ، ولا مترجمة ، ولا فرنسية ، بل هي إنسانية مبتكرة فى الأدب العربى

وإذا كانت العزة القومية تغرى بأن نُسر لمثل هذا التجديد فإنما وجه السرور أننا نأخذ من الأجنبى ما يلائمنا ويندمج فى آدابنا وأساليبنا ، كما أخذ أسلافنا وكما أخذ هو منهم وأفلح ، وأنها جاءت ملحمة عربية من أدبنا فى القرن الرابع عشر الهجرى ، ومعنى ذلك أننا ما كنا لننفر من أدب بنى جنسنا ، بل إننا نرجو له أن يتخلص كل التخلص من الجمود ليتصل كال الاتصال بحركة الحياة الإنسانية الحاضرة فيعود إلى ما كان عليه من خصب فى أيامه الذهبية

وهذه الملحمة أدب عربى لا يقاس على كل مقاييس الآداب الأجنبية حتى يقال ، مثلاً — من أجل بيت أو بيتين — هذا شعر رومانتيكى ، ولم يكن للأدب العربى عصر رومانتيكى بمدلول هذه الكلمة الأجنبية ، أو حتى يقال إن نظرة الشاعر إلى الفن والحياة فى ملحمته نظرة رومانتيكية جعلت من الفنان « صدى عابراً . . . ورحاً مجنّحة الخاطر » فى حين أن نظرته إنسانية اجتماعية لا فردية ، وعقلية علمية لا وجدانية ، وإن عرض هذه النظرة بشعر مزاجه الخيال والوجدانيات وبلاغة هزّة الإلهام ، وكان فيه ما فى طبائع البشر التى وصفها من انفعالية sensibilité وشهوانية sensualité

ألا إن هذه التحفة شعر يملأ النفس جلاله ، ويثير الفكر فى موضوعه الذى تتراءى آفاقه كلما حاول النظر أن يتتبعها ؛ وإن صاحب التحفة لشاعر شاعر ، أسلوبه ساحر ، وهو قادر حتى على تشريف كلام يُعد خارج شعره من السهل غير الممتنع ، كالبيت الثالث من قوله :

وكنت فتى ساذجاً لا أرى سوى دمية صُوِّرت من نقاء
أنيل الثرى قدمَى عابر يعيش بأحلامه فى السماء
فأصبحت شيئاً ككل الرجال وأصبحت شيئاً ككل النساء

أليس فى ثالث هذه الأبيات كل حسرة الفنان المؤلمة على روحه الخائبة ، وكل لهفه على ما استحال من نظرته العفيفة إلى الجمال يوم كان فتى ساذجاً لا يرى مكر الغريزة به لشغله عنها بخواطره وخوالجه السامية ، ومُثله العليا فى الحياة ؟ أليس ما أفعم قلبه من أسف مصبوباً كله فى قوله « شيئاً » للتحقير ؟ وقد قوّى التنكيرُ ما جعلت كلته من معنى التحقير فى موضعها

إن وقعت فى الكتاب شجمة لا ترضيكم فلا تبتسموا ابتسام السخرية ، فهى الدليل على ابتلاء المؤلف بمحنة الفنون

على أنى أحب أن تكون لكم عيوب المويلحى ، وهى عيوب رجال ، وأكره أن تكون لكم محاسن أهل الغفلة ، وهى محاسن أطفال

كونوا مبدعين فى جميع الميادين ، وكونوا أنتم أنتم ، ولتكن صورة الوجه هى التى تميزكم بعد صورة الأسلوب .

زكى مبارك

من سياق البيت تلو البيتين البليغين الأولين ، وانتقل هذا المعنى بأداة التشبيه إلى كل الرجال . ثم أليس شجوه لتدهور المرأة معه ، أو تدهوره معها ، مُرَكّزاً فى الشطرة الثانية من البيت ؟ ألم يُصبح كلامه من السهل الممتنع ؟ الحق أن ما فيه من مزيّة شعرية ، وروعة معنى ، وسحر بيان ، هو شىء بليغ يُعلى النفس ويَعلو على كل تقدير . وهو شىء ليس يستطيع إنكاره سوى الذين لا يعرفون كنه الشعر فيظنون أن الشعر هو ما تزدان به ماهيته الخافية عنهم من التشبيه الجميل ، والمجاز البارع ، والكناية البديعة ؛ وإنما أولئك زينة الأثواب ، وقد يكون لؤلؤها بهرجا ، وزواقها خادعا ، فتكون معارضَ زائفة تنقص قيمة الشعر أو لا شعر تحتها .

وهل من قول فى أسلوب على طه بعد أن كتب إليه خليل بك مطران : « جئت بالطريف من المعنى ، فى الصريح الشائق من المبنى ... إن فى مطالعة أرواح وأشباح لمتعة فكرية ولذة فنية » ؟ وبعد أن كتب صاحب الرسالة : « هى فى الصياغة مشرقة البيان ، منتقاة اللفظ ... هزت نفسى هزاً شديداً ، فكنت أطيل الوقوف عند كل رباعية ، وأديم النظر فى كل بيت ، أتذوق جمال صياغته برفق ، وأستجلى سر بلاغته فى أناة » ؟

هزت نفسه ، فأدام النظر فى كل بيت ليتذوق ويستجلى . ذلك لأن اللذة التى يجدها الذوق يكشف التحليل سرها فيضاعفها فى النفس

فإن الذوق ملكة مركبة من الشعور ، أى الانفعال ، لأن المحاسن والعيوب تؤثر فيها بالطبع ؛ ومن الذكاء ، لأنها تحلل تأثرها باحثة عن أسباب الاستحسان وأسباب الاستهجان ، وتنظر فيما تجد من دواعى الإعجاب ودواعى الإنكار ، وتوازن بينها . وأثر الانفعال ، أى وقع الشىء ، هو الحاكم الطبيعى أول وهلة ، أما النظر فهو الحكم بعد ذلك . والمعتاد من هذا الحكم إذا اقترن عند صاحبه الانفعال السريع بالعقل الثاقب النيّر ، ألاّ يجىء قضاؤه إلا مؤيداً لقضاء الحاكم الأول . ولذلك كتب الأستاذ الزيات ، بعد إدامة النظر : « إن أسلوب هذه الملحمة ليس بدعاً من أسلوب على طه ، فإن الصفات الغالبة على أسلوبه كله ، هى الوضوح والأناقة ، والسهولة والسلامة »

***

أما بعد ، فقد تبين من مزايا « أرواح وأشباح » أن إمعان النظر فى هذا الصنيع — كما هو ، يزيد الناظر إعجاباً به فى ذاته ، وإعجاباً على إعجاب بطبعته . وما أجمل ائتلاف الظرف والمظروف فى مثل هذه التحفة !

فإن للمؤلفات النفيسة عند الغربيين فى هذا العصر طبعات فاخرة ، محلاة بصور يصنعها أبرع الفنانين ؛ وهم فى ذلك يتبعون عادة أسلافهم فى كتبهم الخطية . وقديماً كان هذا هو الشأن عند الشرقيين من فرس وعرب وغيرهم ؛ وَزَيَّن السلف الصالح مصحفنا الشريف — على جلال القرآن الكريم — بأجمل الخطوط والنقوش العربية ، وموّهوه بمختلف الألوان والمياه الفضية والذهبية ، إجلالاً للكتاب المجيد . ثم ضاع منا العلم وضاعت الفنون والأذواق ؛ ثم ظهرت عندنا تلك المطبوعات القبيحة التى تعمى الأبصار . ومنذ شرعت مصر تنهض أخذنا نجوّد الطبع ، ونحلى المطبوعات أحياناً . وفى ذلك وقاية للنظر ، وتهذيب للذوق ، وتحبيب فى الإتقان ، وخدمة للطابع والفنان . لكننا ما زلنا فى المرحلة الأولى على هذا الطريق

من أجل ذلك ، لا من أجل ما يعنى التلميح السخيف ، لم يقنع صاحب هذه التحفة بنفاستها الأدبية ، بل زين طبعتها بصور بارعة من ريشة الفنان محمد سليم شوقى ، تروق فى النواظر ، وكأنها فى البصائر عناوين فنية لمقاصد الشاعر وأغراضه فى شعره . وقد اختار لكتابه أحسن طبع بحبور مختلفة ألوانها ، مؤتلفة كألوان الصور ؛ وبأحرف جميلة بينة فى أسطر متباعدة بين حواش عريضة ؛ وبجوّد من أصناف الورق للكتابة وللغلاف المحلّى بصورة لآخر مشاهد القصص

وليس يجمع أجمل الصفات الأدبية والمادية فى وحدة محكمة البناء ، متقنة التأليف ، عظيمة الإشراق ، فتانة الرونق ، إلا روحُ فنان وذوقٌ ممتاز .

محمد توحيد السلحدار

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٢ — ٨ — ١٩٤٢ فى القضية رقم ١٦٤٨ سنة ١٩٤٢ ضد أم الرزق حسن الفراش سن ٤٠ فلاحه نكلا مركز إيتاى جنح عسكرية بمدة ثلاثة شهور شغل والنشر على مصاريفها لبيعها ذرة بسعر أزيد من الحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٩ — ٩ — ٩٤٢ فى القضية رقم ٢٦٩٤ جنح عسكرية سنة ٩٤٢ ضد توفيق حسن القصاص سن ٢٢ جزار شبرا خيت بمدة ثلاثة شهور مع الشغل والنفاذ والمصاريف والنشر على مصاريفه لبيعه لحوما بسعر أزيد من الحدد بالتسعيرة

عقيـــدة البعث

للأستاذ محمد عرفة
عضو جماعة كبار العلماء

لا أعلم شيئاً أعظم بركة على البشر من عقيدة البعث ، وقيام الأموات من القبور ، ومجازاة المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته

ولا أعلم شيئاً أعظم شؤماً على البشر من تحطم هذه العقيدة ، واعتقاد الناس أنهم لا يجزون بخير يعملونه ، ولا بشر يقترفونه

ولا أعلم زماناً كان الناس فيه أحوج إلى اعتقاد البعث من هذا الزمان .

إن روح الشر التي تسيطر على البشر الآن ، ويشكو منها القادة والمصلحون هي من ضياع هذه العقيدة .

خوت القلوب من عقيدة البعث والجزاء ، فقادت الناس شهواتهم ، وضاعت الشكائم التي كانت تكفهم ، وأصبح المرء يرى أن لا حياة له إلا هذه الحياة ، وأنه إن لم يتمتع نفسه بكل الشهوات خسر خسراناً مبيناً ، فاندفع يحصل هذه الشهوات من كل سبيل . فقد الإيمان بجزاء الأعمال فاستوت عنده الحسنة والسيئة ، فاندفع إلى السيئات يقترفها ، وكأنما يأتي حسنات .

تنبهت غرائزه الدنيئة ، وفتحت فاها فلم يكفها شيء تلقمه ؛ واختفت غرائزه العلوية ، وأصبحت الحدود التي تفصل بينه وبين الحيوان الأعجم دقيقة وتكاد تمحى .

أقفر المستقبل من الجنات التي أعدت له جزاء فعل الخير فلم تتحرك فيه إرادة الخير ، وأقفر أيضاً من الجحيم الذي كان ينتظره جزاء فعل الشر فلم ينزجر عن شر ، فهتك الحرمات ، واستباح المعاصي ، وسار في هذه الحياة لا دين يردعه ، ولا فضيلة تزجره .

كانت مقاييس الخير والشر عنده رضا الله وغضبه ، ونفع الناس وضرهم ، فأصبحت مقاييس الخير والشر إتباع شهواته وإجاعتها ، ورضا ميوله وغضبها .

كان الفقير والمريض والمبتلى يجد كل منهم في هذه الدنيا سلواه لأنه يعلم أن وراء هذا الفقر في الدنيا غنى في الآخرة ، ووراء هذا المرض صحة ، ووراء هذه البلوى عافية ، فكان في وسط هذه الشدائد والآلام راضي النفس ، باسم الأمل ، راجي الرحمة ، فأوصدوا هذه الأبواب في وجهه ، فلا أمل ، ولا رحمة ، ولا رضى ، ولا رجاء .

كان الغني يحسن إلى البائس الفقير لأنه يعلم أن ما يدفعه الآن سيأخذه أضعافاً مضاعفة ، وسيجزى بذلك النعيم المقيم ، فأوصدوا باب الجزاء في وجهه ، وأوصدوا بإيصاده باب الإحسان

كان يعمر قلبه الله والخير والفضيلة والعدل ، ويخيفه الشيطان والشر والرذيلة والظلم ، فشك في ذلك وأصبح يتساءل ما الله ؟ وما الشيطان ؟ ما الخير ؟ وما الشر ؟ وما الفضيلة والرذيلة ؟ وما العدل وما الظلم؟ هذه كلها من أوهام الماضي، وخرافات الأجيال

أعلم أن الذي حول العالم إلى هذه الحال القلقة ، وورطه في هذا الجحيم هو اندفاع فلاسفة القرن التاسع عشر والقرن العشرين في مقاومة الدين ونقضه – كان هؤلاء الفلاسفة يجهلون قيمة الدين في حياة الشعوب والأفراد ، وكانوا يرونه يعيش على هامش الحياة ، بل ربما رأوه كلاً عليها ، فاندفعوا يقاومونه وينقضونه حجراً بعد حجر ، ويشككون في مبادئه السامية ، فضعفت قيمة الدين في النفوس بما ألقوا من شبهات وما أثاروا حوله من استهزاء ، ولم يعلموا أنهم بذلك يفتحون باب المقبرة للعالم ، وينقضون أخلاقه العلوية السامية .

أرجعوا إلى الناس إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجزاء بالأعمال ترجع إليهم عفتهم وطهارتهم وصيانتهم .

أرجعوا إلى الناس إيمانهم ترجع إليهم أمانتهم ووفاؤهم وعدالتهم .

أرجعوا إلى الناس إيمانهم يرجع إليهم أملهم الضائع ، وأمانيهم المنشودة ، ومستقبلهم الزاهر ، وعزاؤهم على ما يلاقون من آلام الحياة .

أرجعوا إلى الناس إيمانهم ترجع إلى الأرض الرحمة ، وإلى البشر العدل ، ويهبط على الكون السلام .

محمد عرفة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٩ – ٩ – ١٩٤٢ في القضية رقم ١٧٩٦ جنح عسكرية سنة ١٩٤٢ ضد حسين محمد الجلباط سن ٥٨ جزار فرنوى مركز شبرا خيت بمدة ثلاثة شهور مع الشغل والنفاذ والمصاريف والنشر على مصاريفه لبيعه شعيرا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكم في القضية ن ١٥٨٩ سنة ٩٤١ ضد عبد الرؤوف أحمد التزمى بغرامة ٥ جنيه والنشر والتعليق والغلق أربعة أيام بتاريخ ١٥–٧–٩٤٢ وذلك لبيعه ذرة بسعر أكثر من المحدد

في فن الحرب

من حرب الخنادق إلى حرب الحركة

للأستاذ « ذ . ص »

قال برنارد شو :

« إن صنعة الحرب تنحصر في الهجوم بقسوة المتضعف على من هو أقل منك عدداً وعدة ، وفي التهرب من لقاء الند . والسر في النجاح الحربي هو أن تتحايل على الخصم : تنصب له الفخاخ وتمد له الأحابيل ؛ فإذا تعثر أو كبا ، انقضضت عليه بلا شفقة انقضاض الغادر . ولكن إياك إياك من مجابهته وهو منتصب على قدم الاستعداد ! »

كلمات لاذعة ساخرة ... ولكنها من صلب الحقيقة . القائد الناجح هو ذلك الذي يخادع ثم يقاتل ، ويراوغ ويخاتل ثم ينقض بتلك الأساليب الملتوية ، والحيل الماكرة ، والطرق المتعرجة المنثنية ، حيث الدهاء والفطنة متآلفان ، والخبث والذكاء متعاونان .

ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، وانتقل ذلك الفن العريق من أفقه الشاسع الفسيح ، أو قل من جحيمه العميق ، إلى حيز ضيق محدود : فالتجنيد الإجباري قد أعطى الدول القدرة على تغطية كل شبر من أراضيها المتاخمة لحدود الأعداء ، فأصبحت الجيوش متجابهة ، ولزم عليها صراع الخصم صراع الندّ للند ، والقريبَ للقريب ، كما حدث في الميدان الغربي أثناء الحرب الماضية .

تضاءل مجال مناورات الاستراتيك[1] ، ولم يجد القواد فرصة للالتفاف حول الأجناب ، وليس هناك أجناب ، وحاروا في كيفية الإغارة على المؤخرات ، دون الاضطرار إلى اختراق الواجهات ، بل وكيف يكون الاختراق وقد أعطت الأسلحة الآلية التفوق المطلق لمواقع الدفاع ؟

(١) « الاستراتيك » : هي الحركات التي بها يجبر العدو على ملاقاتك في أرض أنت تختارها ، تكون لك ملائمة كل الملاءمة ؛ أما « التكتيك » : فهي التحركات التي يجريها الجيش فوق أرض المعركة نفسها أثناء القتال أو للاستعداد المباشر له

إن الحرب بأساليبها وخططها ورجالها وعدتها ترتكز على ركنين أساسيين : قوة النيران[1] ، وسرعة الحركة . وما الهجوم إلا الحركة صوب العدو ، وما الدفاع إلا محاولة وقف تلك الحركة بالنيران المحكمة التصويب . وهذه الأخيرة هي التي كانت أسبق إلى التحرر من قيود الطاقة البشرية ، حين تحوّلت إلى قوى الطبيعة تستمد منها القدرة على الفتك ، فلم تعد السواعد هي التي تلوّح بالرماح أو تطعن بالسيوف ، بل أصبحت المفرقعات هي قوّتها الدافعة ، بل وزادت على ذلك وأدّت إلى اختراع السلاح الآلي السريع الطلقات الذي طفر بمقدرة الدفاع إلى الأمام طفرات هائلة . فمنذ قرن مضى وقف ولنجتون أمام وترلو يصد هجمات نابليون المنيفة ، وقد رصّ رجاله رصّاً ، وتعلق مصير أوربا بمقدرته على وقف جيوش الأمبراطور ، حتى يلحق به بلوخر ، لحظات معدودات أُطلقت خلالها الكتائب البريطانية النيران بمعدل ألفي رصاصة في الدقيقة الواحدة لكل كتيبة (أورطة) ، ولو كان الزمان انتقل فجأة بولنجتون إلى عهد السلاح الآلي ، لأمكنه استبدال كل كتيبة من كتائبه برجالها وبنادقها وقائدها وضباطها بثلاثة جنود خلف ثلاثة رشاشات ، ليحصد نابليون حصداً ويشتته تشتيتاً

هذا في حين أن الهجوم ظل يعتمد على الطاقتين : البشرية والحيوانية . وكانت تعبئة الجيوش تتم حقيقة بقوة البخار على خطوط الحديد ، ولكنه أثناء تلك اللحظات الحاسمة التي ترفرف على الميدان خلال القتال ، ظلت الحركة هي هي كما كانت أيام هنيبال : أدواتها أقدام بني الإنسان على الدوام ، تعاونها ظهور الجياد في بعض الأحيان

زادت إذن قوة الدفاع أضعاف الأضعاف ، فكانت النتيجة الحتمية شلّ كل هجوم ، وتثبيت الخطوط ، وتحويل الحروب من ميدان البراعة والفن ، إلى التطاحن المنهك الممل ، والحصر الاقتصادي الطويل

(١) قوة النيران اصطلاح عسكري يقصد منه المقدرة على إصابة العدو سواء أكان ذلك بحراب الأسكندر وسيوف قيصر ، أم بشظايا القنابل وجراثيم الأمراض

لم تعد المركة موضع حسم النزاع ولا الجنود هي العامل الفعال، بل انتقل الزمام إلى مقدرة المدنيين على الاحتمال وبمهارة ربات المنازل في الاقتصاد من مستلزمات الحياة — أ كان سيأتي الوقت الذي يحل فيه التدبير المنزلي محل التدريب العسكري، وتكتفي الدول بخطوط «ماجينوية» أو «سجفريدية» مجهزة بالمقاعد الوثيرة ولوحات التليفزيون، يضطجع بداخلها الجندي في دعة وتراخ، فإذا لمع مصباح من المصابيح وجه الرجل عينيه إلى شاشة مخصوصة، ثم ضغط على زر معلوم، فتنطلق من أعلى الحصن عدة طلقات، يكون فيها إسكات المهاجين وعودة المدافعين إلى النوم الهنيء والسبات العميق؟

ذاك ما تخيلته بعض العقول العسكرية وخاصة الفرنسية منها فأقامت خط ماجينو، ولكن هناك آخرون كان لهم في التفكير مذهب جد مختلف، فقد احتفظوا في ذاكرتهم ببعض تفاصيل الحرب الماضية، من تلك التي كان لها تأثيرات شديدة، ولو أنها لم تكن نسبياً إلا نتائج محدودة لجهود محدود، أحدثه أول مرة قلة الأدوات وصغر المكان، وفي الأخرى تخلف الزمان عن التفتح لاستثمار عبقرية ظهرت قبل الأوان

أول هذين الحدثين استعمال الطاقة الميكانيكية[1] في ميدان المعركة، عند ما هجم البريطانيون في نوفمبر ١٩١٧ ببضع عشرة دبابة، فانكسر الخط الألماني؛ ولكن دهشة الإنجليز أنفسهم وعدم وجود الاحتياطي الكافي عاقاهم عن استغلال ذلك النجاح الباغت

وثانيهما تفتحت عنه عبقرية لودندرف من طرائق للهجوم جديدة — وهو من أبناء المدرسة الألمانية المتشبعة بروح الهجوم — والهجوم الناجح يتطلب المناورة والالتفاف وكما ذكرنا آنفاً: لم يكن هناك أجناب، فما العمل إذن؟ أيستسلم لودندرف ويرضى بالحال؟ كلا فهذا من المحال. إنه يريد الهجوم؛ يريد إحراز نتيجة إيجابية بأي ثمن كان، إذن ... فلتخلق لجيوش الأعداء أجناب! ... يبتكر لودندرف وينفذ نظريته الجديدة: نظرية التسلل؛ وهي إرسال بعض الجنود يتسللون مواطن الضعف في خطوط الأعداء حتى إذا وجدوها تسللوا خلالها وأحدثوا بها ثغرة أو ثغرات، فيها يُجرى الحشد الجديد، ومنها يكون الالتفاف والتطويق والهجوم وحسم النزاع

صادف لودندرف بعض النجاح، ولكن حركات الجنود تظل في الميدان بطيئة، فيتنبه لها الدفاع قبل الاستفحال؛ ويسارع إليها بالنيران يصليها وبالفتاك الذريع يرميها، فتنبطح للتستر وتعود إلى الثبات، أو ربما تذعر وتولى، فتكون الهزيمة والفرار

ويجلس القائد الألماني بعد الحرب بسنين، وفي قلبه حسرة وبقلمه رعشة، ويقرر حزيناً كئيباً: «إن مناوراتي الأستراتيكية خذلتها نقائص التكتيك»

ولكن نظرياته لا تنسى ولا تزول، بل تنزوي حية في بعض العقول، حتى يخلق لها الجو الملائم فتعود إلى الظهور؛ وتنشر هنا وهناك بعض المؤلفات تهيء لها الجو، إن عفواً وإن قصداً، أهمها «نحو الجيوش المحترفة» للجنرال ديجول عام ١٩٣٤، ثم «حرب الدبابات» للجنرال إيمنزبرج النمسوي. وأخيراً كتاب جودريان[1] الفذ: «حذار! ... إنها الدراعات» عام ١٩٣٨

تنبهت القيادة الألمانية لميزات الدبابات، ورأت أنها هي، وهي وحدها، الكفيلة بمضاعفة سرعة الجيوش في ميادين القتال، بل وإلى جعلها قادرة على إدماج الضرب مع الحركة، فمن قبل كان الجندي المهاجم يقف عن الحركة ليطلق النيران، ثم يكف عن إطلاقها إذ عاد إلى الحركة، وهذا مضيعة للوقت وأي مضيعة، وإعاقة للتقدم وأي إعاقة! وهكذا قدر للهجوم أن يعود إلى عرشه المفقود، فينقلب ثبات الدافعين إلى جمود الحائرين، ثم إلى خنوع المستسلمين.

(ز. ص)

(١) كنت أود استبدال كلمة «ميكانيكية» بلفظ آخر، ولكني لاحظت أن أقرب لفظ عربي إلى المعنى المطلوب «آلية» يؤدي، في الأوساط العسكرية، معنى آخر جديد: Automatic

(٢) الجنرال جودريان الألماني الذي قاد دبابات المرشال فون بوك سنة ٩٤١، في القطاع الأوسط من الميدان الروسي

مشاركة الأدب الانجليزى
فى الدراسات العربية

نقلا عن « برنارد لويس »

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

٤ — القرن التاسع عشر وما بعده

لقد درسنا حتى الآن حياة رجال ذوى شخصيات أكاديمية ، فلنقف قليلاً لننظر فى حياة ثلاثة من رجال الإنجليز الذين كان اهتمامهم باللغة العربية وبلاد العرب ينبع من معين آخر ، والذين يختلف عملهم الذى ملأ حياتهم كلها ، عن عمل أولئك الذين سبق أن درسناهم

وأول هؤلاء وأشهرهم هو « سر رچارد برتون » (١٨٢١ — ١٨٩٢) فبالرغم من أنه بدأ دراسته للغة العربية مبكراً وهو فى أكسفورد فإنه ترك الجامعة قبل أن يتمها ، وذهب إلى الهنـد لكى يعمل فى الجيش البريطانى . وعاش هناك بضع سنين ، قضى أكثرها فى المناطق الإسلامية ، ودرس اللغتين العربية والفارسية ، واللغات الإسلاميـة الأخرى على أيدى مدرسين من المسلمين ، وعند عودته إلى انجلترا نشر أربعة كتب عن الهند

وفى سنة ١٨٥٣ زار مصر زيارته الأولى ، وقام برحلة على ظهور الجمال من القاهرة إلى السويس . وبعد سفر ملىء بالحوادث غادر ذلك الميناء قاصداً ينبع فى باخرة حجاج ؛ وتغلغل فى الحجاز قاصداً زيارة المدينة ومكة ، ثم عاد إلى انجلترا عن طريق جدة ومصر . ونشر بعد عودته وصفاً لرحلاته هذه فى ثلاثة مجلدات طبعت عدة طبعات ، ولا تزال تعتبر مرجعاً عن البلاد التى وصفها . ثم أعقب ذلك عدة سنين من أسفار متعاقبة

وفى إحدى المرات قام برحلة استكشاف فى المناطق المتوحشة من شرق أفريقيا والحبشة ، متنكراً فى زى تاجر عربى . وقد عاد بمعلومات ثمينة عن تلك المناطق التى تكاد تكون مجهولة .

وفيما تلا ذلك من السنين ساح فى وسط وغرب أفريقيـا ، والأقسام المنمورة من الأمريكتين . ونراه فى سنة ١٨٥٥ فى القرم يخدم مع القوات البريطانية . وفى خلال المدة ما بين سنة ١٨٦٩ و ١٨٧١ كان فى دمشق وساح فى سورية ومعه زوجته و « إدوارد هنرى پالمر » ونشر هو وزوجته وصفاً لتلك البلاد ، وعاد بعد سنوات إلى مصر وأشرف على أعمال جيولوجية كانت قائمة فى مناطق من البلاد كانت فى ذلك الحين أبعد أقسامها عن المدنية

وعلى هذا فقد كانت حياته كلها مغامرة وخطراً متصلاً ، ذهب أغلبها فى السفر والسياحة فى أقطار الأرض المتباعدة ، ومع كل ذلك فقد وجد من وقته متسعاً ينشر فيه عدة كتب تكلمنا عن بعضها ، ويضم الباقى ترجمة كاملة لكتاب « ألف ليلة وليلة » وهى ترجمة فريدة بين الترجمات الأوربية بالنظر لتمسكها المخلص بالنص الأصلى : ذلك التمسك الذى أثار فضيحة ضئيلة بين معاصريه الشديدى التزمت

ومن بين الرحالين الإنجليز المشهورين فى الشرق الأوسط « ولفريد سكاون بلنت » (١٨٤٠ — ١٩٢٢) وقد بدأ حياته بداية دبلوماسية ، ومع ذلك فقد أخذ اهتمامه يطرد وينمو بقضايا الشعوب المظلومة فى العالم ، وكرس آخر أيامه للمطالبة بحقوقها . وكان اهتمامه منصرفاً بصورة خاصة إلى الهند وأرلندة ومصر . وكان من كبار السائحين وزار أقطاراً عديدة . فقام — بصحبة زوجته — بزيارة البلاد العربية فى الشرق الأدنى وفى شمالى أفريقيا . وفى سنة ١٨٧٨ زار نجداً حيث استقبله وزوجته أمير حائل استقبالاً حسناً ، وقدم لهما بعض الخيول المنتقاة ، وقام بإبلاغهما مخفورين إلى بغداد . وقد اتصل فى خلال زياراته لمصر والهند بالزعماء الوطنيين ويعرفه كل من جمال الدين الأفغانى وعرابى باشا معرفة تامة . وقد نشر عدة كتب فى تأييد القضية المصرية . وفى سنة ١٨٨١ استقر فى دار له قرب القاهرة حيث عاش عيشة المصريين : يرتدى الملابس المصرية ويتكلم اللغة العربية

وكانت زوجته « الليدى آن بلنت » عالمة باللغة العربية بالإضافة إلى خبرتها بالفروسية والأسفار ، وتشتمل كتبها

المطبوعة على كتاب عن العراق وآخر عن نجد ، وترجمة للمعلقات نظمها زوجها بالإنكليزية شعراً .

وهناك رحالة ثالث هو « چايس دوتى » (١٨٤٣ – ١٩٢٦) الذى يذكر بكتابه الخالد عن جزيرة العرب . فقد قام — بعد تحضير لمدة سنة كاملة فى دمشق بدراسة متسعة للغة العربية — برحلة استكشافية فى قلب بلاد العرب . وعلى عكس ما قام به من سبقه من الرحالين ، فإنه كره أن يخفى قوميته ودينه ، فساح فى كل مكان كانجليزى مسيحى ولم يقلل هذا الإصرار من جانبه من أخطار رحلاته . وزاد كتابه الذى نشر فى انجلترا بعد عودته فى سنة ١٨٧٨ فى إنماء معلوماتنا عن بلاد العرب . ويحتوى سجل أسفاره على ثروة من المعلومات عن جغرافية تلك البلاد وطبيعة أرضها ، كان أغلبها غير معروف قبل ذلك . وقد أعيد طبع كتابه قبل حوالى العشرين عاماً وكتب له « لورنس » مقدمة

ولنعد الآن إلى علماء العربية فى الجامعات . فقد أظهرت السنين الأولى من القرن العشرين أن مستوى الدراسات العربية لم يكن بأية حال أقل منه فى أعظم أيام القرن التاسع عشر ، فقد أنشئت الدوائر العربية فى الجامعات الاسكتلندية والجامعات الفرعية . وأنشأت جامعة لندن فى الحرب الماضية كلية جديدة مقتصرة على العلوم الشرقية هى « معهد الدراسات الشرقية » .

أما العلماء الذين سنتطرق إليهم الآن ، فهم من الجدة بحيث يذكرهم الطلاب والزملاء بعطف فى انجلترا والشرق . فقد كان السر توماس أرنولد الذى توفى فى سنة ١٩٣٠ ، أول من شغل كرسى الدراسات العربية والإسلامية فى معهد الدراسات الشرقية فى لندن . وقد تثقف فى اكسفورد ، وأنفق عدة سنين فى الهند أستاذاً للفلسفة فى الكلية الإسلامية فى عليكرة . وأشهر مؤلفاته هو « تعاليم الإسلام » : وهو وصف لامتداد العقيدة الإسلامية أكسبه فى التو منزلة ملحوظة ، وترجم إلى اللغتين : التركية والأوربية . وفى كتابه الآخر « الخلافة » تعقب تاريخ هذا النظام ، وناقشه من وجهتى النظر الفلسفية والفقهية . ونشر بالإضافة إلى ذلك عدة دراسات قيمة عن الرسم والتصوير الإسلاميين : ذلك الموضوع الذى كرس له عدة سنين من حياته . وذهب فى سنة ١٩٣٠ إلى القاهرة فتوفى هناك على الأثر

وهناك مستشرق آخر ذو مكانة هو « لى سترانج » الذى توفى فى سنة ١٩٣٤ ، ويمكن أن يكون القول الآتى له مفتاحاً لآثاره : « إذا كان المطلوب جعل تاريخ الإسلام شيقاً ، وإذا كان المقصود فى الحقيقة فهمه على الوجه الصحيح ، فمن الواجب إعداد الجغرافيا التاريخية للعصور الوسطى إعداداً دقيقاً » . وقد كرس « لى ستراانج » أفضل سنى عمره لدراسة الأدب العربى والفارسى الخاص بالجغرافيا . وتعتبر كتبه التالية : « بغداد فى عهد الخلافة العباسية » و « فلسطين تحت حكم المسلمين » و « أراضى الخلافة الشرقية » خيرة الكتب فى هذه الموضوعات . ونشر أيضاً عدداً من النصوص الجغرافية ، وكثيراً من الدراسات القصيرة . ومنذ سنة ١٩١٢ قد عمى تقريباً . غير أن نقصاً خطيراً كهذا فى كيانه لم يعقه عن الاستمرار فى عمله

ومات عالم آخر فى العربية مشهور فى السنة التى توفى فيها « لى ستراانج » هو « أ . أ بيفان » تلميذ « وليم رايت » وكان أكبر همه منصباً على الشعر العربى القديم . وقد نشر نقائض جرير والفرزدق على عهدته . والنادرة التالية تعطى فكرة عن دقته المظيمة : فقد روى زميله « ا . ج . براون » العالم المعروف بالفارسية أن بيفان زاره يوماً ، وكان شديد الحزن حتى لقد خيل له أن كارثة حاقت به ، ولكن حقيقة ما كان قد وقع هو أن « بيفان » اكتشف خللاً فى وزن أحد الأبيات فى طبعته للنقائض !

ولا يتسع المجال للكلام عن كثيرين من العلماء فى هذا المهد كليال محرر « المفضليات » و « لين – بول » مؤلف عدة من الكتب عن تاريخ الإسلام ، وعن المسكوكات ، و « امبروز » محرر عدد كبير من النصوص العربية التاريخية المهمة وكثير غيرهم . غير أن هناك عالماً واحداً يستحق أكثر من الذكر العارض هو « د . س . مارجليوث » الذى كان أستاذ اللغة العربية فى اكسفورد عدة سنين ، والذى اعتبر الشخصية الأولى بين علماء العربية من الإنجليز مدة طويلة من الزمن ؛ وكان عضواً فى المجمع

العلمي العربى فى دمشق . وبالرغم من أنه نشر عدة دراسات باللغة الإنجليزية ذات قيمة عن التاريخ الإسلامى وعن الدين الإسلامي فإنه سيذكر بالخير لطبعاته العديدة وترجماته لأمهات الأدب العربى ، وربما كان خير أولئك طبعته الفائقة لمعجم الأدباء لياقوت . وقد نشر أيضاً رسائل أبى العلاء ، ومحاضرات التنوخى ، ومختصر ابن مسكويه

أما أولئك الذين لا يزالون بين ظهرانينا فلن نتكلم عنهم ، لأن الكلام سابق لأوانه . وأعمال علماء كنكلسون وجب وستورى وكثيرين غيرهم ممن يخرجون آثاراً مهمة لن يبت فيها من وجهة النقد إلا الأجيال المقبلة . وفى خلال ذلك يمكن القطع بالقول والتقين أن سيرة الدراسات العربية فى انجلترا — التى سبق أن تكلمنا عن تطورها فى خلال العصور السابقة — لا تزال قوية الحيوية . ولعلها تستمر فى الازدهار

عبد الوهاب الأمين

مرسلات مع الريح

أرسطوقراطية الوضاعة

للأستاذ إسماعيل مظهر

قال أرسطوقراطيس الروى : تكليف النفس ما ليس من طبعها ، دخول على الناس بخدعة ما ينبغى المرء أن يسكن إليها . وإرسال النفس على سجيتها تقرير لواقع الطبع ومسايرة لحقيقة الأشياء . فاختر لنفسك أمراً ؛ فإما أن تعايش الناس صورة مزوَّرة على الطبيعة ، وإما أن تعايشهم صورة حقيقية لما بثت الطبيعة فى تضاعيفك من عناصرها . فإذا اخترت الأولى فأنت منافق . وإذا اخترت الثانية فأنت صريح النسب إلى الفضيلة .

قرأت هذه الكلمات . أقرأنيها رجل أمّى لم يفتح كتاباً غير كتاب الدنيا ؛ ولا عرف صحيفة إلا صحيفة الأيام . رمته الدنيا بالفقر . والفقر ، كما يقول الإنجليز ، إذا نقر على الباب قفز الحب من النافذة . ورمته مع الفقر بالبغضاء : يحملها له أهله وأبناؤه وذوو قرباه . ومع البغضاء رمته بالحقد . الحقد الذى يأكل صدره على كل من جادت عليه الدنيا بشىء من نعائمها

رزأه أحد أقاربه الأغنياء فى شىء من ماله القليل ، أخذه وأنكره عليه . فراح يستنصر آخر منهم فحمت نفسه بمرضين : كراهية البشر ، وتكلف العظمة ، ومهما انتحل الأرسطوقراطية ؛ ولكنها أرسطوقراطية الوضاعة . وكان وقوعه على هذا العُتُل حلقة فى سلسلة مصائبه

هو إنسان إذا طرق بابه إنسان امتقع وجهه ، وابيضت خرطومته من النكد والهم ؛ فجلس إليه يعلو صدره ثم يهبط كأنه كير حداد . وتكلف الأدب تكلفاً ينم عن سوء أدبه ؛ وتكلف الكلام ، فتحس وهو يتكلم كأنما صدره مرجل يغلى ، والكلمات تَهْـدار ما فى ذلك المرجل الثائر . قد يلتفت إليك إذا هو أراد أن يبالغ فى إيلامك ، وقد ينأى عنك بجانبه إذا هو أراد ملاطفتك . ذلك بأنه إذا التفت إليك فكى يريك الحقد مجسماً فى ملامحه ، والكراهية مرسومة فى محياه . وإذا نأى عنك فكى يخفى عنك هذه المعانى المرتسمة فى وجهه . فكأنه بذلك يمنُّ عليك ويشفق بك . وقد يبدؤك الكلام ؛ فإذا كان هو البادىء فطامتك عظمى ، ومصيبتك سوداء ، ويومك أنكد الأيام ، وساعتك أنحس الساعات ، وبُرهتك القيامة ، نُصِبَ ميزانها وبدأ الحساب

هيه ... كيف عرفت بيتى ؟ تكلم ...

ويحدجك بنظرة ، تتمنى لو أن الأرض تنور بك ، أو يُفتح لك فوّهة من فوّهات جهنم تلقفك ، قبل أن تستقر معانى تلك النظرة فى نفسك . فإن كل معنى من معانيها رمح يستقر فى قلبك فينزفه ، وفأس محدودة تنزل على عنقك فتفصله عن جسدك .

قد يجود عليك حرج الموقف بكلمة ، ولكن الغالب أن تَغصّ فلا تتكلم . فإما أن تبقى ساكتاً والعرق يتصبب من جبينك ، وإما أن تتحفز للقيام فراراً من سوء ما أنت فيه . فإذا ارتج عليك وثُبتّ فى مكانك ، انفتحت شفتاه العريضتان عن ابتسامة تترجم لك عن قوله : أكرهُ البشر يا ابن « آدم » ، فإليك بُغضى »

أما إذا ساعدك الحظ وحملتك رجلاك فقمت ، فإن يدك معصورة فى يده ، وذراعك مهتزة كأنها القصبة المنخورة ، ليشعرك أنه انتصر وآذى الإنسانية وانتقم منها فى ذاتك ، وفتك بأبناء « آدم » ومثَّل بهم فى شخصك ، ولكنه انتصار أشبه بانتصار الخراب على الفقر ، كما يقول سير وُلْتَرْ سكوت . غير أنه هنا خراب النفس ، يستقوى ويستلئم ، متنهزاً له فرصاً من نكد الدنيا

وسألته : ثم ماذا يا شيخ محمود ؟ قال : لا شىء ، إلا أن هذا الإنسان لِدُنُوٍّ مكانته فى الأولى ورفعته فى الثانية ، أُصيبَ بمرضين هما ما ذكرت : إنسان نشأ فى الحضيض ، دَرَجَ على التراب أول ما دَرَج ، ولبس الأسمال أول ما لبس ، وعاشر السفهاء والذؤبان أول ما عاشر ، ونام عنه القدر ، فلفَّ ودار ، ثم تسلق حائط المجد ، فأصبح شيئاً ما فى دنيا مجهولة ، أشبه شىء بالبقعة الخراب فى المصوَّر الجغرافى ، فحقد على البشر لأنه نشأ من أدنام مكاناً وأرذلهم موضعاً ، ثم أراد أن يُعمِّى على سوء مَنشئه ، فتكلف أشياء ليست من طبعه ، فطغى على الناس كِبراً والناس — يا أخى — لا يعاملون أمثاله بالحكمة النبوية الكريمة : (التكبر على أهل الكبر صدقة)

وأطرق الشيخ محمود هنيهة ، ثم نظر إلىَّ بعينيه الواسعتين وسأل : أليس الذى وضع مبدأ الأرسطقراطية هو أرسطوقراطيس الرومى ؟ قلت : كلا إنك واهم ، وليس من الروم من هذا اسمه ، وإنما هو مبدأ اعتنقه بعض مقاديم اللصوص فى الأزمان القديمة ، وكان منهم قتلة وقطاع طرق وقراصنة ، ثم قلدهم فيه لصوص آخرون هم أشد منهم غباء ، وأقل إقداماً ، فانحدر إلينا بعض المقلدين ، ولكنهم بيننا كالأحياء البائدة التى حفظت الطبيعة هياكلها فى طبقات الأرض ، وليس لنا منها إلا الصورة ؛ أما الحقيقة ، فقد انحدرت فى جوف الزمان

فأطرق الشيخ محمود إطراقة ثانية يتأمل كلامى ، وحبَّات مسبحته تتساقط ، فتحدث ذلك النقر المنتظم الذى يمثِّل تتابع فكراته وتأملاته ، ثم ما لبث أن فاضت عيناه مرسلتين دموعاً تترامى على يديه ، كأنها الندى البارد على وريقات الخريف

اسماعيل مظهر

٤٣ – المصريون المحدثون

شمـــائلهم وعاداتهم

فى النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزى ادورد وليم لين

للأستاذ عدلى طاهر نور

تابع الفصل الثالث عشر – الأخلاق

يشتهر المصريون بفضيلة الحب البنوى . وقد سبق أن ذكرت الاحترام الظاهر الذى يؤديه الولد إلى والديه . ويظهر المصريون أيضاً احتراماً زائداً للمسنين[1] وبخاصة المشهورون بالتقى والعلم . ويعتبر حب المصريين لوطنهم وعلى الأخص مسكنهم صفة بارزة أخرى فى طباعهم . ويخشى المصريون على العموم هجر مسقط رأسهم . وقد سمعت الكثيرين يقررون السفر إلى الخارج بغية كسب عظيم ولكن عزمهم يفتر عند ما يقترب موعد السفر . وقد خفف أخيراً من حدة هذا الشعور ما يعانيه البعض من شدة الظلم . ولا شك أن هذا الشعور نشأ إلى درجة عظيمة من جهل الناس لحالة البلاد الأجنبية وسكانها . وقد سمعت البعض يدلل على حب المصرين العجيب لمسقط رأسهم بأنه يندر أن ترضى امرأة أو فتاة ، أو يسمح والدها ، بالاقتران بمن لا يعد بالبقاء فى مدينتها أو بلدتها . ولكنى أظن أن الإحجام عن ترك الوطن فى هذه الحالة ينتج من خوف المرأة أن تفتقر إلى حماية أهلها . ويتعلق البدو بصحراواتهم ويحتقرون الحضريين والفلاحين ولكن الكثيرين منهم يميلون إلى الاستقرار على شواطئ النيل الخصبة أيضاً . ومع أن المصريين من نسل البدو إلى حد كبير فهم لا يشابهونهم فى حب الصحراء وإن شابهوهم فى حب الوطن . وتزود الرحلة إلى الصحراء من يقوم بها من المصريين بقصص مطنبة فى المتاعب والمجازفات والعجائب التى يعزفون روايتها إلى مواطنيهم ذوى الخبرة القليلة

يعم الكسل جميع طبقات المصريين ما عدا الذين يضطرون إلى كسب حياتهم بالأشغال اليدوية الشاقة . وهذا الكسل نتيجة المناخ وخصوبة الأرض . ويبذل العامل بالآلات أيضاً بالرغم من شدة طمعه فى الربح يومين فى عمل يستطيع بسهولة إنجازه فى يوم ، ويهمل أكثر الأعمال ربحاً ليصرف وقته فى التدخين . غير أن البواب والسائس الذى يجرى أمام جواد سيده والنوتية الذين يستخدمون فى جر المراكب صاعدين فى النهر وقت سكون الجو واشتداد حرارته يقاسون ، مثل الكثير من الفعلة الآخرين ، تعباً شديداً .

يعرف المصريون أيضاً بصلابة الرأى إلى حد الإفراط . وقد ذكرت فى فصل سابق أن المصريين اشتهروا منذ عصر الرومان ، بامتناعهم عن دفع الضرائب حتى يضربوا ضرباً موجعاً ، وبأنهم كثيراً ما يفتخرون بمقدار الجلدات التى ينالونها قبل أن يتخلوا عن نقودهم . وهم لا يرون غرابة فى مثل هذا التصرف . وقد حكى لى مرة أن فلاحاً فرض عليه الحاكم ما قيمته خمسة شلنات تقريباً ففضل أن يقاسى الجلد على أن يدفع هذا المبلغ الزهيد ، وقرر أنه لا يملكه . فأمره الحاكم بالانصراف وقبل أن ينصرف لطمه على وجهه فسقطت من فمه قطعة ذهبية بقدر المبلغ المطلوب تماماً ، فكأن الضرب مع قسوته عجز عن حمله على الدفع . وتبدو هذه الحال غريبة فى طباع المصريين ولكن يسهل تبريرها بأن المصريين يعلمون تماماً أنه كلما دفعوا عن طيب خاطر طمع الحاكم فى أموالهم . على أن المصريين بوجه آخر يمتازون بشدة العناد وصعوبة القيادة بالرغم من امتثالهم الشديد فى طباعهم وميلهم . ويندر أن يحمل المرء الصانع المصرى على أن يصنع شيئاً حسب الطلب تماماً . فلا بد أن يفضل رأيه على رأى مستخدمه ، ويصعب أبداً أن ينجز عمله فى الميعاد المضروب .

ولا يعوز فلاحى مصر ، مع خضوعهم الشديد لحكامهم ، الشجاعة عند ما ينهضون لخصومة بينهم . وهم يبرعون فى الجندية

ولا شك أن المصريين مثل شعوب الأقاليم الحارة يفوقون الشعوب الشمالية فى الاستسلام للشهوات . على أن هذا الإفراط لا ينسب إلى المناخ فقط ، ولكن ينسب على الأخص إلى نظام تعدد الزوجات وسهولة الطلاق كلما اشتهى الرجل زوجة جديدة ، وإلى عادة التسرى . ويقال أيضاً كما أعتقد حقاً أن المصريين ، فيما يختص ذلك ، يسبقون الشعوب المجاورة التى

---

(١) أنظر لاويين ١٩ – ٣٢ : « من أمام الأشيب تقوم وتحترم وجه الشيخ وتخشى إلهك أنا الرب »

تماثلهم فى الدين والنظم الدينية[١] ، وإن بلادهم لا تزال يستحق تسمية « دار الفاسقين » التى أطلقها القرآن على مصر القديمة طبقاً لرأى خير المفسرين . وقد أشاع المماليك الفاحشة فى مصر فأصبح الفسق هنا أكثر انتشاراً منه فى البلدان الشرقية ، ولـكنه على حد القول قل كثيراً فى السنوات الأخيرة

يستبيح المصريون من الجنسين وفى كل طبقة ، البذاءة المفرطة فى الحديث ، حتى أعف النساء وأوقرهن عدا القليل منهن يستعملن الـكلام الغليظ ، ولـكن دون بذاءة . وكثيراً ما ينطق المثقفون عبارات فاحشة لا تلائم غير أحط المواخير . ويذكر أرق النساء فى حضرة الرجال أشياء وأحاديث قد تعف العاهرات فى بلادنا عن ذكرها دون أن يدركن مخالفة ذلك للآداب

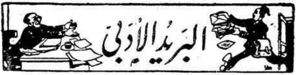
توصف نساء مصر بأنهن ، فى أهوائهن ، أفسد النساء اللاتى ينتمين إلى أمة متحضرة . ويخلع مواطنيهن من الرجال هذه الصفة عليهن بسخاء حتى فى أحاديثهم مع الأجانب . ولا شك أن فى المصريات كثيرات يشذذن عن ذلك . ويسرنى أن أسوق هنا تعليقاً لصديقى الشيخ محمد عياد الطنطاوى على عبارة فى ألف ليلة وليلة ، قال : « يعد الـكثيرون الزواج مرة ثانية من الأعمال الشائنة ويسود هذا الرأى مدن الريف وقراه . ويمتاز أخوالى بهذا ، حتى أن المرأة عندهم إذا توفى زوجها أو طلقها فى شبابها تترمل ما بقيت فلا تتزوج مرة أخرى أبداً .

ولـكنى أخشى أنه ينبغى التسليم ، نظراً إلى غالبية المصريات ، بأنهن جدفاجرات . وقداشتطأكثرهن كما يقال فى استعمال الحرية . ولا يعتبر أغلبهن مصونات إلا إذا أغلقت عليهن الدار . وقل منهن من يخضعن لهذا القصر . ومن المعتقد أن المصريات يملكن شيئاً من الدهاء فى تدبير الحيل التى يعجز الزوج عن تجنبها مهما كانت فطنته وحرسه ، وأنه قلما تخيب لذلك حيلهم مهما عظم الخطر الظاهر لما يباشرنه . وقد يكون الزوج نفسه أحياناً وسيلة لإشباع ميول زوجه الإجرامية بدون علمه . وتعرض لنا بعض قصص ألف ليلة وليلة فى مكائد النساء صوراً صادقة عن حوادث لا يندر وقوعها فى عاصمة مصر الحديثة .

ويرى كثيرون فى القاهرة أن جميع النساء تقريباً على استعداد أن يدبرن الدسائس متى استطعن ذلك بدون خطر ، وأن الـكثيرات يباشرن ذلك فعلاً . ويؤلمنى أن يكون الرأى السابق صحيحاً ، وأكاد أكون مقتنعاً أن الحكم الأخير شديد القسوة ، إذ يبدو من التقاليد السائدة المتعلقة بالمرأة أنه لا بد مكذوب . ويصعب على من لا يعرف العادات والطباع الشرقية معرفة كافية أن يدرك مشقة الاختلاط بالمرأة فى هذا البلد . فلا يصعب على المرأة من الطبقة الوسطى أو العليا إدخال عشيقها فى مسكنها فحسب ، بل يستحيل عليها تقريباً أن تلقى رجلاً ذا حريم على انفراد في منزله الخاص ، أو تدخل منزل رجل أعزب دون أن تثير ملاحظات الجيران وتدخلهم المباشر . وإذا لم يكن بُد من التسليم بإقدام الـكثيرات من المصريات على المكائد مع وجود مثل هـذه المخاطر ، فقد يكون صحيحاً أن الصعوبات التى تعترضهن هى العائق الرئيسى لـكثير من المكائد . أما عند نساء الطبقة السفلى ، فالمكائد أكثر وقوعاً وأسهل إنجازاً .

(يتبع) محمد طاهر نور

(١) وليس معنى ذلك أنه يغير على الأتراك أو عرب الصحراء



حول «حديث عيسى بن هشام»

طالعت فى العدد (٤٨٦) من مجلة (الرسالة) الغراء ما دبجه يراع الدكتور زكى مبارك عن «حديث عيسى بن هشام» لمنشئه المرحوم عمى محمد بك المويلحى. وإنى أعقب اليوم على مقال الدكتور بدافع الرغبة الصادقة فى لفت نظره إلى بعض ملحوظات رأيت من واجبى أن أدلى بها خدمة للحقيقة والتاريخ

يقول الأستاذ: إن كتاب عيسى بن هشام ينسب بالباطل أو بالحق إلى أبيه إبراهيم، تاركا القارئ بين الشك واليقين. والأدباء الذين تذوقوا أدب المويلحى الأب والمويلحى الابن يعرفون أن لكل منهما ميزات خاصة فى الكتابة. ثم إن المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد، وأصحاب المقطم، والمرحوم شوقى بك، وحافظ بك ابراهيم، والشيخ محمد عبده، والبارودى، والشنقيطى، كانوا معاصرين له، فلو أن «عيسى» كان لغير «محمد» لأذاعوا به

والبرهان القاطع بأن عيسى هو من إنشاء محمد لا من إنشاء أبيه ما احتوته الديباجة التالية فى العدد ١٠٩ من (مصباح الشرق)؛ وقد توقف المرحوم جدى عن متابعة رسالة (مرآة العالم) أو (موسى ابن عصام)، تاركاً الكلام لعيسى بن هشام قال: «شغل حديث عيسى بن هشام، عن متابعة ما يحكيه موسى بن عصام، فمرت الأشهر والأيام، حتى انقضت مدة العام، وسافر عيسى إلى المعرض، وعاد موسى إلى ما انقطع من كلامه، وعدنا إلى ما يدور بينه وبين شيخه وإمامه»

هذا، وقد أشار المرحوم جدى فى العدد (١٠٧) من (المصباح) عن سفر عمى إلى باريس بالعبارة التالية:

«يسافر محمد المويلحى إلى معرض باريس فى يوم الأحد الآتى (١٠ يونيو سنة ١٩٠٠)؛ وسينشر (المصباح) ما يوافيه به عيسى بن هشام من غرائب المعرض وعجائبه، بعد الوقوف على إجماله وتفصيله، كما يعلم ذلك من رسالته فى صدر الجريدة اليوم: (يعنى حديث عيسى بن هشام)

وجاء فى العدد (١١٦) من (المصباح): «هذه الرسالة الأولى من حديث عيسى بن هشام عن زيارة معرض باريس، بعث بها إلينا السيد محمد المويلحى بعد رسالته التى نشرناها فى أحد أعدادنا الماضية عن زيارة سمو الجناب العالى الخديو لجلالة ملكة الإنجليز فى بلادها»

كذلك نأخذ على الدكتور مبارك حكمه على محمد بك من أول جلسة جلسها معه عند المرحوم أحمد باشا شفيق، لأن الرجال أسرار، وقيمة الرجل لا تعرف إلا بعد طول المعاشرة.

ولم يعتزل محمد بك الكتابة كلية بعد موت أبيه كما قال الدكتور، وإنما اعتزلها حيناً من الدهر حين اشتغل مديراً لإدارة الأوقاف العمومية بعد مديرها أحمد شفيق باشا. ومع كل فقد كان ينشر فى الصحف اليومية المقالات الضافية فى المناسبات الهامة كما ذكر بنفسه ذلك فى المؤيد بتاريخ ٩ فبراير سنة ١٩٠٨ تحت عنوان: «كلمة مفروضة»، وكان الكلام يدور حول منع نصب تمثال «دانتى الإيطالى» فى مدينة الأسكندرية. ولا يفوتنى ذكر مقالته «صوت من العزلة» التى افتتح بها الأهرام صحيفته فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢١ وفيها يذكر محمد بك سبب عزلته ويرحب باتحاد الأحزاب فى مصر وما فى الاتحاد من عزة للشرق

وفى سنة ١٩٢٥ طلب منه صاحب جريدة مشهورة فى مصر أن يكتب مقالين فى الشهر مختاراً له لوناً معيناً من السياسة ويأخذ عليهما ثمانين جنيهاً؛ فأجابه المويلحى الصغير بكلمته المشهورة: «قلم المويلحى لا يباع»

أما سور بابل فلا مبالغة فيه إذا علم الأستاذ مبارك أن المهندس اليونانى Philon de Byzance (١) الذى كان يعيش فى القرن الثانى قبل المسيح هو أول من جمع فى مؤلف واحد وصف عجائب الدنيا السبع بكل ما أوتى من دقة تكون أهلاً لمهندس. ولم يقصد محمد بك بقوله إن السور يتسع للاحاطة بسبع مدائن كمدينة باريس (فى سنة ١٩٠٠ طبعاً) إلا على

(١) Leon-Allaci : Philo Byzantius de septum orbis spectaculis groece et Latine. Rome 1640.

الطريقة الحسابية التى سبقه بها فى مثل هذه العمليات الحسابية المهندس الفرنسى (لينان باشا) حيث قال : إن حجارة الأهرام تكفى لبناء قناطر محمد على .

ابراهيم المويلحى

اللغة والتعريب

تحركنى كلمة الأستاذ زكريا ابراهيم إلى الرد لأنها تتناول مسألتين جوهريتين : أولاهما مسألة الخطأ والصواب بمناسبة « عثرت به » و « عثرت عليه » وثانيتهما مسألة تعريب الأسماء الأعجمية .

فأما عن « عثرت به » فقد قلت إن المعنى الذى أريد التعبير عنه هو العثور بالشىء أى ملاقاته اتفاقاً ، ولم أرد « العثور عليه » أى الاطلاع الذى يدل على علم ومعرفة وبحث وجهبذة لا أدعيها .

والذى يدهشنى هو تفضل هؤلاء العلماء بلفت نظرى إلى مختار الصحاح ودوائر المعارف وتراكيب اللغة الإنجليزية وهذه كلها مراجع ما كنت أحلم بوجودها .

وآفة هذه المهازل هى قول بيكون : « العلم الصغير شىء خطر » وهذا طبعاً لا علاقة له بالعلماء الكبار أمثال الكرملى وزكريا ابراهيم ؛ وهما بلا ريب يعلمان أن لغات العالم كلها مجازات ميتة وأن تلك المجازات رغم موتها تحتفظ دائماً بشىء من معناها الحقيقى . فأنا عند ما أقول « عثرت بالشىء » مفسراً بقولى « وقعت عليه » يكون معنى ذلك أننى اطلعت عليه ولكن مصادفة كما يعثر حافر الجواد بأحد الكنوز . وبذلك أعبر عن المعنى الذى فى قلبى تعبيراً لا تحققه « على » بما تفيده من قصد إلى غاية وسعى لبلوغها .

ثم إن مسألة الصحة والخطأ فى اللغات أصبحت مسألة تافهة لا يحرص عليها فى غير مجال التعليم المدرسى . وأما العلم فقد تقدم وأصبحت المناهج تاريخية فترى العلماء اليوم لا يقررون الخطأ والصواب فى اللغات وإنما يستقرون الاستعمالات عند كبار الكتاب ويفسرون ما يطرأ على اللغة من تطور . ومن الغريب أن نظل نحن مترددين فى طرق التفكير التى تخلص منها العالم المتحضر منذ أكثر من قرن . فاللغة العامية ذاتها ليست مجموعة أخطاء ، وإنما هى تطور عادى مألوف فى كل اللغات . واللغة الفرنسية والإيطالية كذلك ليستا أخطاء فى اللغة اللاتينية .

وإذن فكلام الكرملى وكلام زكريا ابراهيم حذلقة تافهة ومماحكات لا علاقة لها بمناهج البحث فى اللغات التى لم تعد تقريرية Dogmatique فى شىء .

وأما عنصر الثبات فى اللغة وهو ما يطالب به الأستاذ زكريا حتى لا يصير الأمر فوضى ، فذلك ما لا أستطيع أنا أن أدخله فى اللغة بل ولا المجمع اللغوى نفسه . عنصر الثبات هو استعمال كبار الكتاب لمفردات اللغة وتراكيبها ، ثم قراءة مؤلفات كبار الكتاب فى المدارس والجامعات لتشيع تلك الاستعمالات . وكل محاولة فى غير هذه السبيل لن تجدى شيئاً .

اللغة كائن حى لا يقنن له وأكبر دليل على صحة ما أقول هو أن المجمع اللغوى لم يستطع شيئاً فى هذا الباب ولن يستطيع . وأنا أشكر الأستاذ زكريا إبراهيم إذ نبهنى ونبه زملائى أساتذة الجامعة إلى وجوب توجه أسماء الأعلام كما ينطق بها أهلها . فهذا لا ريب مبدأ سليم ولكن على شرط أن نعرف كيف كان ينطق بها أولئك الأهل . ونحن لسوء الحظ لا نعرف ذلك دائماً . ولقد ثار الأستاذ زكريا على أساتذة الجامعة وثار الأب الكرملى لأننا نعرب أحياناً عن الإنجليزية والفرنسية مع أنى أستطيع أن أؤكد لهذين العالمين الفاضلين أننا نعرف مبادئ اللغات الأندو أوربية وبخاصة اللاتينية واليونانية ، ولكننا مع ذلك نؤثر أن نترجم عن اللغات الحديثة لأننا لسنا على ثقة من نطق هاتين اللغتين ، وهما لغتان ميتتان ، والعلماء مختلفون فى نطقهما الآن أشد الاختلاف . وأنا وإن كنت لا أستطيع أن أدخل هنا فى التفاصيل إلا أنى أضرب لذلك مثلاً باسم الخطيب الرومانى الشهير Cicero فهذا الإسم ينطقه اليوم علماء الإنسانيات الإيطاليون « شيشرو » كأنه لفظ من ألفاظ اللغة الإيطالية الحديثة . والفرنسيون كذلك ينطقونه « سيسرو » والإنجليز « كيكرو » فأيها أصح ؟

نعم لقد قامت فى السنين الأخيرة دعوة كان من أكبر زعمائها العالم الفرنسى ماروزو Marouzeau تدعو إلى محاولة النطق نطقاً تاريخيًّا أى نطقاً يقارب النطق القديم يستنتجونه من بعض الكتابات الصوتية القديمة ومن العناصر الموسيقية

في الشعر ومن نتائج علم الأصوات التاريخي وتطور نطق الحروف المختلفة كما يستعينون بآراء العالم إرزم ومحاولاته في هذه السبيل . أقول إن ذلك كله قد كان ، ولكن هذه المحاولات لم تنجح . ولا يزال علماء كل بلد في أوربا ينطقون اللاتينية واليونانية كأنهما من لغاتهم . وإذن فنحن حتى في هاتين اللغتين مضطرون إلى أن نتخير نطقاً نأخذه عن علماء أحد هذه البلاد . وذلك إلى أن يستقر النطق التاريخي Reconstituée على أسس ثابتة مقبولة من الجميع

ويزيد الأمر تعقيداً أن مسألة تعريب الأسماء لا يمكن أن يكون وفقاً لقرارات يصدرها المجمع اللغوي أو الأستاذان الكرملي وزكريا ابراهيم ، وإنما الأمر أمر استعمال : استعمال كبار الكتاب الذين لهم من الشهرة ما يجعل تعريبهم يذيع بين الناس

خذ لذلك مثلاً ما استقر عليه العرف في فرنسا منذ القرن السابع عشر تجد أن أسماء الأعلام الشهيرة التي تتداولها الألسن قد أعطيت صيغة فرنسية ، ولذلك يقولون فرجيل وهومير وسوفوكل وأوريبيد وإشيل . وأما الأسماء التي لا ترد إلا على ألسنة الخواص من العلماء فقد تركت لها صيغتها اللاتينية واليونانية ، ولذلك يقولون : كورنيلوس نيوس وإبيكوس وبيوس ومورسكوس ومن إليهم

وإذن فالأمر أعقد مما ظن الأستاذ زكريا ابراهيم . وأساتذة الجامعة يؤلمهم أن يبلبلوا أذهان القراء . ولكن ما الحيلة والمسائل معقدة ؟ أليس من الأجدى علينا وعليكم أن تتركونا نتحسس السبل ونجاهد حتى نصل إلى تعريب سهل قريب مستساغ نرجو معه أن تنتشر الألفاظ التي نفضلها فتنحل المشاكل ويرتفع اللبس ؟ ثم أليس من الخير أن نعرب عن إحدى اللغات المنتشرة في بلادنا بدلاً من التعريب عن لغات قديمة لا يعدو من يعرفها من مواطنينا الذين نكتب لهم عدد الأصابع ؟

محمد مندور

سبب مجهول من أسباب اختلاف القراءات

المعروف أن أقوى سبب لاختلاف القراءات يرجع إلى اختلاف اللهجات العربية ، فجاء الإذن بقراءة القرآن على الفصيح من تلك اللهجات ، ولم تتعين قراءته باللغة التي نزل بها وهي لغة قريش ، تيسيراً على غيرها من القبائل العربية

ولكن هناك سبباً آخر لم يذكروه في أسباب اختلاف القراءات ، مع أن من هذه القراءات ما يظهر غاية الظهور أنه راجع إليه ، ولا يظهر أنه راجع إلى اختلاف اللهجات ، وذلك نحو قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) ففي بعض القراءات (فتثبتوا) بدل (فتبينوا) ولا شك أن مثل هذا في القراءات وهو كثير لا يظهر إرجاعه إلى اختلاف اللهجات ، وإنما يظهر إرجاعه إلى ما كانت عليه الكتابة العربية قبل اختراع النقط والشكل فيها ، لأن مثل هذا يقف القارئ فيه متحيراً ، فلا بد أن يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم في قراءته ، وقد يكون بعيداً عنه فيتعذر رجوعه إليه ، فقضت رأفة الله أن يقرأ القرآن بما يحتمله من ذلك تيسيراً على المسلمين في عصر الوحي ، وثقة بملكة العربي في ذلك الوقت . ولعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يعين أمثال تلك المواضع ، أو كانت ترد إليه فيقر ما يراه منها . ومما يظهر حمله على ذلك أيضاً قوله تعالى : (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) فقد قرأ الحسن وحماد الراوية (وعدها أباه) بالباء ، وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم ، فإذا كنت أصبت في حملها على ذلك السبب فهو من فضل الله ، وقد يكون الصواب في غير ما رأيت من ذلك ، والعصمة لله وحده

عبد المتعال الصعيدي

(الرسالة) : أشرنا إلى هذا الرأي بإيجاز في كتابنا « تاريخ الأدب العربي »

الشاعر المظلوم

الأستاذ الدكتور زكي مبارك

عددت على شاعرنا « إسماعيل صبري باشا » أن اشترك في « عام الكف » مع أنه مدح الشيخ أحمد الزين !

كذلك جاء في مقالك الأخير بالرسالة الذي تحلل به المويلحي في فقرة جعلت عنوانها (الأديب المضطهد) فأوحيت إلى بهذا العنوان ومدح الشاعر صبري باشا للشيخ أحمد الزين له قصة رواها على ملأ من كرام العلماء والأدباء إمامٌ من أئمة الأدب والعلم والفضل هو شيخنا مصطفى عبد الرازق باشا يجب إيرادها إنصافاً للشاعر الغائب :

كان ذلك منذ عامين ، وبيت عبد الرازق بعابدين على عهدك به في ليلة من ليالي رمضان ؛ ولم يكن الشيخ أحمد الزين وطائفة من أصدقائه غائبين عن هذه الجلسة ، وجرى ذكر الشعر والشعراء وصلتهم بالنحو واللغة فقال الدكتور هيكل باشا : لعل الشاعر إسماعيل صبري باشا لم يكن واسع المحصول اللغوي سمة تحميه من التورط أحياناً في بعض الأخطاء . فالتفت الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا يدفع غيبة صديقه صبري باشا فقال له هيكل باشا : لقد أسمعني بعضهم شعراً له جاء فيه كلمة (خلاق) بمعنى خلق وهي ليست كذلك فيما يقول الشيوخ !

فقال الشيخ عبد الرازق باشا ـ والشيخ أحمد الزين حاضر ـ إنني أنكرت ذلك أيضاً ، فلما لقيت صبري باشا لم أكتمها عنه فكان جوابه : إن الشيخ الزين رجل مثابر على الود ، فلما هم بطبع ديوانه سألني أبياتاً فلم تسعفني القريحة . ولما تكرر منه الطلب لم يسعني إلا أن أقول له — وهو شاعر أيضاً — اصنع أبياتاً لنفسك على لساني . فلما أهدى إليّ ديوانه قرأتها كما قرأتموها ، وصبرت على ما لم تصبروا عليه

***

وأقول : إنك يا دكتور — وأنت ذواقة — حين تقرأ الأبيات لا ريب تنكر نسبتها إلى سائر شعر صبري باشا ، أو تتردد طويلاً جداً على الأقل . وها هي ذي ليشترك معك ومعي قراء الرسالة في الحكم :

إذا كنت يا زين زين الأدب	فإن كتابك زين الكتب
قلائد طوقت جيــد البيا	ن بهن وحليت جيد العرب
خلائق تزرى بنفح الرياض	إذا ضحكت من بكاء السحب
وما المرء إلا (خلاق) كريم	وليس بما قد حوى من نشب

(المجمع اللغوي) — علي فوده

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)